عجيب أمر أمّتنا

حتّى في من يظنّ أنّه يتّبع النّبي ﷺ تجد فيه أخطاء شنيعة

حبّ الدنيا و الرّكون إليها

إنّ من أعظم أسباب الذلّ والهوان والخذلان – حب الدنيا، وتعلق القلوب بها، والإخلاد إلى زخرفها وزينتها، وقد قال الله تعالى عن الكفار:
"وَفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآَخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ "(الرعد:26) وقال العبد الصالح يحذِّر قومه :"يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآَخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ "(غافر: 39)

عن ابن عمر قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" (رواه أبو داود وصححه الألباني)

إن الحديث من الأحاديث المهمة التي يجب النظر إليها في هذا العصر. وقد اشتمل على شقين وهما :

–الداء: في قوله عليه السلام "إذا تبايعتم بالعينة و أخذتم أذناب البقر و رضيتم بالزرع ..." وكل ذلك كناية عن حب الدنيا والركون إليها فكان من نتاجه ترك الجهاد الذي ينتج عنه كراهية الموت وذلك)أي ترك الجهاد (هو الذي سطر للمسلمين شرفهم وعزهم وحضارتهم المترامية الأطراف فمن المعلوم أن تركه يورث في القلوب الذل وهذا هو الظاهر الواقع على خريطة المسلمين الآن

–الدواء: في قوله عليه الصلاة والسلام (حتى ترجعوا إلى دينكم) وذلك كناية عن الاشتغال بالدين وترك الدنيا لأصحابها والشوق إلى الجنة التي هي نتاج هذا الرجوع مما يعيد في القلب شجاعته وقوته وحب لقاء الله والجهاد

قول بلا عمل

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) } سورة الصف

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"

عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه". رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن

الكبر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" رواه البخاري

إن من أسباب الكبر المنتشرة بين الناس والتي يحتقرها بعضهم :

التكبر بسبب العبادة:

فيتطاول الرجل على الناس بعبادته، كأن ينظر إليهم وكأنهم هلكى وهو الناجي فقط، فإذا ما رآهم عبس بوجهه، وينظر إليهم وكأنه في الأعلى وهم في الأسفل، فهذا الرجل فعله يخالف فعل الصالحين.

وقف بكر بن عبد الله المزني على عرفة فقال: اللهم لا تردهم من أجلي، أي: لا ترد هذا الجمع خائباً بسبب ذنوبي

وقال الإمام مالك بن دينار :والله لو وقف رجل على باب المسجد و نادى: ليقم شر الناس، لقام مالك بن دينار.

وقال أحد الصالحين: ذلي عطل ذل اليهود.

وقال أبو سليمان الداراني : والله لا يستطيع أحد أن يضعني أكثر من وضعي لنفسي، فإني أعلم بمنزلتي

وكان مالك بن دينار يقول: إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف !ويقول يونس بن عبيد :إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

ويقول الحسن البصري :صاحبت أقواماً كنت بجانبهم كاللص.

التكبر بسبب العلم:

فينظر الرجل إلى الناس وكأنهم بهائم، ، فيتطاول على عباد الله بما عنده من العلم، وينظر إلى الناس أن له فضلاً عليهم، وأنه فوقهم وهم تحته

يقول محمد بن كعب :إن للعلم طغياناً أشد من طغيان المال

كان مالك بن دينار يقول: يا أصحاب السورة! ويا أصحاب السورتين! ماذا غرس القرآن في قلوبكم؟ إن القرآن ربيع قلب المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، إن الغيث قد ينزل على الحبة في الحش، وما يمنعه نتن موضعها من أن تزهر وتثمر وتربو، فماذا غرس القرآن في قلوبكم؟

الغيبة

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:" أتدرون ما الغيبة؟ " قالوا الله ورسوله أعلم، قال:"ذكرك أخاك بما يكره" قيل إن كان في أخي ما أقول ؟ قال :"إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته،وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"(رواه أبو داود) أي:قال عليه ما لم يفعل قال الله تعالى : "ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله توابٌ رحيم"(الحجرات/12) .

أي لا يتناول بعضكم بعضًا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب الله تعالى للغيبة مثلاً : "أيُحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا"

و بيانه أن **ذكرك أخاك الغائب بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك**، (فكرهتموه) أي فكما كرهتم هذا الأمر فاجتنبوا ذكر إخوانكم بالسوء، وفي ذلك إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه وهي من الكبائر.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : " قلت للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسبك من صفية كذا وكذا " قال بعض الرواة تعني قصيرة."فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" ، قالت : وحكيت له إنسانًا فقال :"ما أحب أني حكيت إنسانًا وإن لي كذا وكذا "(رواه الترمذي) ، والحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة .

قذف المحصنات المؤمنات الغافلات

قال الله جلّ و علا: " إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (النور: 23)

قال تعالى :"وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا"(الأحزاب 58)

و المعنيّون بالوعيد في هذه الآية هم الذين يستطيلون في أعراض المسلمين ظلماً و عدواناً (أي ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه و لم يفعلوه " فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً " و هذا هو البَهت الكبير : أن يحكيَ أو ينقل عن المؤمنين و المؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب و التنقص لهم) كما قال ابن كثيرٍ في تفسيره.

التسرع في إتّهام الناس

يقول الإمام الغزالي رحمه الله : ليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل

إن من أهم الآداب الاجتماعية التي بينها الإسلام وجوب التبين والتثبت مما يبلغ الإنسان من الأخبار والأقوال؛ فقد جرى كثير من الناس على المبادرة إلى تصديق كل خبر والتسرع في التصرف وفقاً لكل نبأ، دون البحث في مصدره، أو التحقق من ثبوته، أو التفكير في مضمونه ، وخاصة إذا كان المنقول عنه الخبر خصماً أو منافساً.

وبسبب ذلك يقعون في كثير من الظلم والجور مما يسبب لهم كثيراً من الحرج والندم ، حين يطلعون على أن الخبر مزيد فيه ومبالغ، أو ملفق ومزوَّر، أو مغيَّر ومبدَّل، فيندمون حيث لا ينفع الندم، ويعتذرون حين لا يجدي الاعتذار، إذ يكونوا قد وقعوا وأوقعوا الآخرين في أضرار وأزمات، وربما سببوا لهم مآسي وكوارث يبقى أثرها زمناً طويلاً ، وخاصة إذا كان هؤلاء من الأشخاص المعروفين .

إن عدم التثبت يجعل الإنسان يقع في سوء الظن و الاتهام دون دليل ولا تبين , وهذا منزلق خطير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

نقل الإمام الشوكاني عن مقاتل بن حيان قوله :فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم .

المزاح بالكذب

الكذب بالمزاح حرام ومما يدل على تحريم الكذب في المزاح ما رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له . والحديث قوى إسناده الحافظ ابن حجر رحمه الله .

ومن يطمع في الجنة فعليه بترك الكذب ولو كان مازحا ففي سنن أبي داود عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

إفشاء السرّ

إن من استؤمن على حفظ سرّ لا يجوز له إفشاؤه، جاء في الجامع الكبير للسيوطي :عن ابن مسعود . رضي الله عنه . إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله، فلا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره.

وفي سنن أبي داود مرفوعا:للنبي صلّ الله عليه وسلم إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفت، فهي أمانة.

وقال الحسن البصري :إنّ من الخيانة أن تحدّث بسرّ أخيك.

منكرات الأفراح

أوّلا: خروج النساء متطيّبات:

*ومن منكرات الأفراح خروج النساء من بيوتهنّ متطيّبات، وهُنَّ في طريقهنَّ إلى العرس يتعرضنَ للمرور على الرجال، وهذا بلا شك حرام.عن أبي موسى الأشعري "رضي الله عنه "قال:قال رسول الله"صلّى الله عليه وسلّم : "(أيُّما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية)

ثانيا: الاختلاط:

*يحدث الاختلاط عند دخول الزوج وأقاربه وأقارب الزوجة من الرجال عند وقت النصّة، وهو كذلك منكر، قال"صلى الله عليه وسلم : "(إيَّاكم والدخول على النساء فقال رجل: أفرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال: الحمو الموت)، (رواه البخاري ومسلم) الحمو: هو أخو الزوج

*يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين:مبيِّناً آثار هذا الاختلاط وما يجنيه فاعله من سلبيات :(أيها المؤمنون! تصوروا حال الزوج وزوجته حينئذ أمام النساء المتجمّلات المتطيّبات ينظرن إلى الزوجين ليشمتن فيهما– إن كانا قبيحين في نظرهنَّ –ولتتحرك كوامن غرائزهنَّ– إنْ كانا جميلين في نظرهنَّ– تصوروا كيف تكون الحال والجمع الحاضر في غمرة الفرح بالعرس وفي نشوة النكاح؟فبا لله عليكم ماذا يكون من الفتنة؟ ستكون فتنة عظيمة؛ ستتحرك الغرائز، وستثور الشهوات.أيها المسلمون: ثم تصّوروا ثانية ماذا ستكون نظرة الزوج إلى زوجته الجديدة التي امتلأ قلبه فرحاً بها إذا شاهد في هؤلاء النساء من تفوق زوجته جمالاً وشباباً وهيئة؟!إنَّ هذا الزوج الذي امتلأ قلبه فرحاً سوف يمتلىء قلبه غماً، وسوف يهبط شغفه بزوجته إلى حد بعيد فيكون ذلك صدمة وكارثة بينه وبين زوجته)(من منكرات الأفراح، ص8).

ثالثا: دعوة الأغنياء وذوي الجاه، وترك الفقراء:

*قال "صلَّى الله عليه وسلَّم : "شرُّ الطعام الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ويُمنعها المساكين، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسولة" (رواه مسلم)

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، فَأَقُولُ : إِنَّهُمْ مِنِّي ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقًا ، سُحْقًا ، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي " . رواه البخاري

عن أبان بن عثمان قال: خرج زيد بن ثابت رضي الله عنه من عند مروان، فقيل له :ما بعث إليك إلا ليسألك عن شيء، فقال: سألني عن أشياء سمعتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ":نَضّرَ اللّهُ امرأ سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"

رواه الترمذي في سننه وصححه الألباني